

دراسة فونولوجية لمظاهر التناسب الصوتي في القرآن الكريم في سورة الأعلى

A phonological study of the aspects of phonetic proportion in Surah AL-Ala

أ د فرحات فاطمة الزهرة

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)

f.ferhat@univ-chlef.dz

بلعاسي ياسمينّة

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف (الجزائر)

مخبر تعليميّة اللغات وتحليل الخطاب

y.belabassi@univ-chlef.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2024/11/26

تاريخ الاستلام: 2024/09/20

ملخص:

في مقالنا هذا نتحدّث عن أهمّ مبحث إعجازي في القرآن الكريم، ألا وهو التناسب الصوتي؛ الذي قدّمنا مفهومه لغة واصطلاحاً واستعمالاً، وحاولت الوقوف على ملامح هذه الظاهرة من منظور فونولوجي غربي، من خلال اختيار مدوّنة من القرآن الكريم وهي سورة الأعلى، وتروم هذه الدّراسة إلى تسليط الضوء على النظام الصوتي لسورة الأعلى، من منطلق أنّ الصوت باستطاعته استيعاب كلّ الظواهر اللغويّة، سواء مفرداً أو في التركيب؛ إذ له خصائص فيزيولوجية ووظيفية ودلالية، والصوت كمكوّن دلالي للفظ والجملة، يتباين في التركيب من خلال خصوصيته الموقعية والتموقعية، فيتناسب ويتجانس والسياقات المفردة له.

ومن أجل الكشف عن إعجاز الصوت في القرآن الكريم _ كحال كلّ الدّراسات المنجزة حول هذا النص المقدّس _ ركّزنا على وظيفة الصوت وهذا هو توجّه الدراسات الفونولوجية كونها تدرس أي نسق صوتي وامتداداته الدلالية أفراداً وتركيباً، فأشرنا في هذه الورقة البحثية لمفهوم الفونولوجيا نظرياً وإجرائياً؛ وكطبيعة أيّ دراسة ختمنا البحث بمجموعة من النتائج عاجلت إشكاليات عنوان الدّراسة.

الكلمات المفتاحية: التناسب الصوتي، الصوتيات، الفونولوجيا، سورة الأعلى.

Abstract:

In this article, we discuss the most important miraculous aspect of the Holy Quran, which is phonetic harmony. We have introduced its concept linguistically, technically, and in terms of usage, and I have attempted to highlight the features of this phenomenon from a Western phonological perspective by selecting a corpus from the Quran, specifically Surah Al-A'la.

This study aims to shed light on the phonetic system of Surah Al-A'la, based on the premise that sound can encompass all linguistic phenomena, whether in isolation or in combination. Sound possesses physiological, functional, and semantic characteristics, and as a semantic component of words and sentences, it varies in structure according to its specific positional and contextual attributes, aligning and harmonizing with its individual contexts. In order to reveal the miraculous nature of sound in the Holy Quran—similar to all studies conducted on this sacred text—we focused on the function of sound, which is the direction of phonological studies as they examine any sound system and its semantic extensions, both individually and in combination. In this research paper, we addressed the concept of phonology both theoretically and procedurally; and like any study, we concluded the research with a set of results that addressed the issues outlined in the title of the study.

Keywords: Phonetic proportion , phonetics, phonology, Surah AL-A'la.

مقدمة:

تعددت الدراسات والبحوث التي جعلت من القرآن الكريم ميدانا لها؛ باعتباره منجما زاهرا، ومجالا واسعا قابلا لاستكناه الأسرار الدفينة، ففي كلّ آية من آياته، تشهد بإعجازه، وعظمته.

ومن الظواهر التي تناولتها المباحث اللسانية في القرآن الكريم ظاهرة التناسب الصوتي في القرآن الكريم، والتي لا يمكن حصرها في التوازنات الصوتية الشكلية، ولا عدّها وقياسها، ولا في تقارب مخارج الحروف وصفاتها، بل إنّ الأمر يتجاوز ذلك، فقد اهتم القرآن الكريم بالمناسبة بين المقال والسياق.

وحقيقة علم التناسب في القرآن أنّه ينظر إلى النظام الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومن ثم فإنّ من تمام بلاغة القرآن وبلاغه المبين أن يُعامل معه باعتباره وحدة واحدة؛ ولذلك تؤكد بعض التعريفات السابقة أنّ السورة وحدة واحدة،

اخترت عنوان دراسة التناسب الصوتي في سورة من سور القرآن الكريم تيمنا بالقرآن الكريم، وتمسّكا برأي أنّ الدراسة الفونولوجية في اللغة العربيّة تتأثّر معطياتها أكثر مع النص القرآني، فمكّان أسرار الصوت دفينه فيه؛ وهذا أوّل دافع لاختيار متن الدراسة منه.

لما كان موضوع البحث يدور في فلك النص القرآني، حاولت رصد تلك المزايا الفونولوجية لمظاهر التناسب الصوتي في القرآن الكريم سورة الأعلى أنموذجا، من خلال جملة من المساءلات هي كالآتي:

كيف ساهم الاشتغال الفونولوجي في تقفّي مظاهر التناسب كوجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؟
ما هي الأسس التي ارتكزت عليها الدراسات الفونولوجية في تحديد التناسب الصوتي التي تحدّدت من خلال الفونيم؟

ما هي الظواهر الصوتية الأكثر حضورا في إبراز ملامح التناسب في سورة الأعلى؟

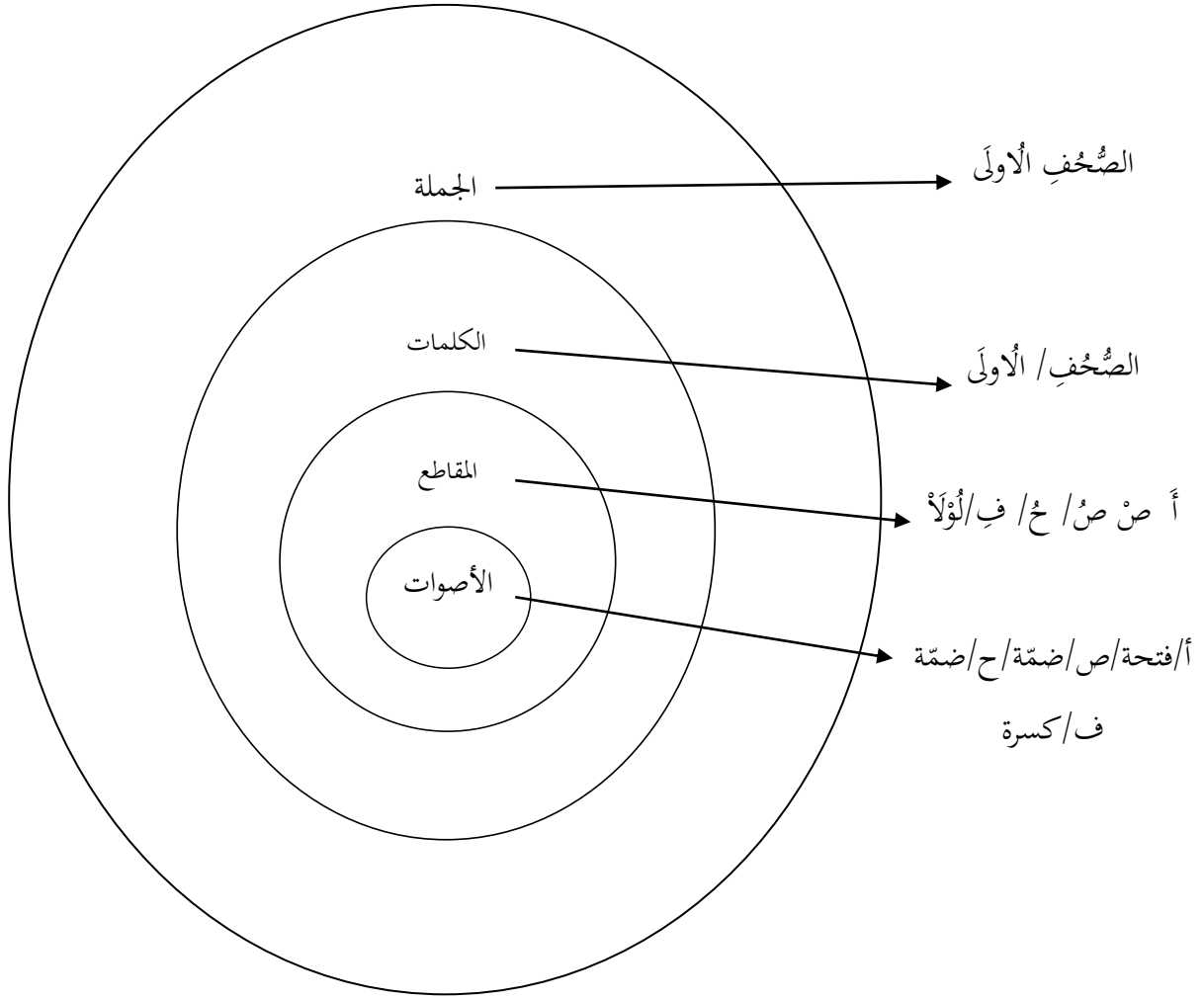
هذه التساؤلات دفعت إلى التقيد بضوابط مناهج بحثية تراوحت بين الوصف والتحليل، في ما يخصّ تحديد الصوامت والصوائت وتعداد المقاطع وتحديد نوعها وكمّاء، ووصف بعض السمات التطريزية مثل الإمالة والفاصلة القرآنية التي يميّز بها الخطاب القرآني.

وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة في مجملها، عرضنا فيها إلى مستصفي ما توصلت إليه الدراسة، بخاصة ما أفردته الرافد اللساني عبر مباحث الفونولوجيا وآلياتها الإجرائية الممكنة التي أتاحتها لتقفي الملح الإعجازي للبنى الصوتية للخطاب القرآني.

2. تجليات الفونولوجيا في الدرس العربي:

التراث اللغويّ ثريّ بمعطيات الدرس اللسانيّ اليوم، هذا أنّ التأصيل لكل مبحث حديثي متاح جدّا خاصة وأنّ المكتبة العربية تحوي على إرث واسع من المؤلفات اللغويّة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها من العلوم، ولا يستطيع أيّ دارس كان سواء عربي أو مستشرق أن يتنصّل من معطيات الدرس العربي، الذي له أهله وأصوله، ومن ملامح هذه الدّراسات الحديثة عند علمائنا القدامى المبحث الفونولوجي المرتكز أساسا على وظيفة الصوت اللغوي وطاقاته الإيحائية والدلالية والجمالية، ولنبدأ من أثرى الكتب كتاب العربية الأكبر بوصف عائشة عبد الرحمن، الذي أحيط بعلوم شتى من علم تجويد يصون، وعلم تأويل يفسّر، وعلم بلاغة يبرز مكان من الإعجاز والجمال، وعلم معاجم ثرّ بأصول المفردات.

يحوي القرآن الكريم مادّة لغوية وافية، اجتهد علماء اللغة بما فيهم المفسّرون في شرح مفرداتها وتتبع الأشباه والنظائر فيما بينها¹، والدليل اللساني المعتمد في الدّراسات الفونولوجية بعد الفونيم الذي سنفضّل فيه لا حقا في هذه الورقة البحثيّة؛ هو الكلمة كمعطى لساني؛ أو حقيقة لسانية لأنّ التحليل النحوي القديم اعتبرها مقتطعة من تركيب *la phrase* أو المركّب *le syntagme* ممّا يجعلها قابلة للعزل عن سياقها، سواء نطقا أو كتابة، وتوصف أيضا بالكتلة الصوتيّة التي يحدها فراغان، سواء في الزمن نطقا أو الكتابة مسافةً، ومع هذا تعتبر حقيقة لسانيّة قابلة للدراسة والتحليل أيضا²، وأيضا توصف بالدليل اللساني بعد أن كانت توصف في كتبنا اللغوية بالوحدة المعجمية.

الشكل (1)³

1.2 . الدّراسة الصوتيّة الحديثة ماذا أضافت لعلم الصوت العربي:

إنّ سبق علماء العربية خاصّة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن جنيّ، وسيبويه وريادتهم في مجال الدّراسات الصوتية يثبت أصالة هذا الدّرس، بالإضافة الوحيدة التي يستأنس بها الحدّاثيون في الريادة هي الدّراسات المخبرية، وهذا تحصيل حاصل من التطوّر في كلّ المجالات، خاصّة ونحن في عصر الآلة.

وصارت هناك معادلة لا تقيم للدّراسات الصوتية وزناً إلّا باقتراحها ببرمجيات قياس الصوت؛ إذ في نظرهم أنّ أيّ دراسة صوتية في وقتنا الرّاهن دون قياسات حاسوبية لا تستقيم، لكن مع القرآن الكريم شأن آخر ذلك أنّ الدّراسات الصوتيّة القرآنية وثيقة الصلة بأحكام التجويد، ومباحثه كلّها صوتية بحتة.

2.2 مفهوم الفونولوجيا:

يعدّ الصوت أحد أهم العوامل في اللغة؛ حيث تحمل الكلمات والأصوات معاني ودلالات خاصّة بها، نجح الجبل الأول في وضع الأسس الأولى استناداً إلى العوامل الفيزيولوجية والفيزيائية، مثنّين بذلك التشكيل الصوتي الوظيفي، وقد عرف هذا الجهد في الواجهة الحديثة بعلم الصوتيات والفونولوجيا، حيث يسعى هذا العلم إلى تحديد دور ووظيفة هذه الأصوات ضمن الإطار اللغوي الخاص بها.

والتحديد المفاهيمي للمصطلح يقدّم على أنّه (العلم الذي يدرس أصوات اللغة لجهة وظيفتها التمييزية في نظام التواصل اللغوي، إنّّه يهتم أساساً بالشكل لا بالمادة الصوتية التي تميّز، في اللسان عينه، مرسلتين مختلفتي المعنى، كما تلك التي تسمح بتمييز المرسلات من خلال تحقيقات فردية مختلفة)⁴ وكما يمكن تعريفها أنّها علم أصوات الكلام والأنماط الصوتية التي نعني بها:

1- مجموعة الأصوات التي تحدث في لغة معيّنة.

2- التراكيب المسموحة بها لهذه الأصوات في الكلمات.

3- عمليات حذف وإضافة وتغيير الأصوات.⁵

والبحث في النظم والأنماط الصوتية؛ مقترن بمعرفة النظام الصوتي للغة المدروسة، والذي هو جميع الأصوات اللغوية المتميزة عن بعضها البعض في لغة ما⁶، وهو أيضاً علم يدرس الأصوات باعتبارها (وحدات ذات وظيفة لغوية، تفرّق بين المعاني، فتميّز بين الدلالات)⁷ تبدو واضحة ملامح هذا الاتجاه، فتقاسيمها ترسم وظيفة الصوت اللغوي داخل البنية اللغوية؛ أي من حيث علاقته بالأصوات السابقة عليه واللاحقة به.

وفي محاولة نقل المصطلح الصوتي وترجمته للعربية لم تكن هناك خطّة منهجية لتحديد ما يترجم منها وما يجب تعريبه لخلق مصطلح مكافئ في العربية يحمل دلالات المصطلح، في الجدول الآتي نذكر بعض الحالات على سبيل المثال⁸:

المصطلح الانجليزي	المقابل العربي	وضع المصطلح (المرجع)
phonology	1. علم الأصوات التنظيمي، فونولوجيا 2. علم التشكيل الصوتي 3. علم وظائف الأصوات 4. النطقيات (فونولوجيا) 5. علم الأصوات 6. فونولوجي 7. الفونولوجيا (دراسة الأصوات اللغوية في لغة ما) 8. علم وظائف الأصوات 9. علم الأصوات التشكيلي أو التنظيمي، الفونولوجيا 10. علم النظم الصوتية 11. الفونولوجيا (علم الأصوات اللغوية الوظيفي) 12. دراسة اللفظ الوظيفي، فونولوجيا	1. كمال بشر (1975) ص 29 2. تمام حستان (1955) 3. أبو الفرج (1966) ص 123 4. المجمع اللغوي بالقاهرة مجلة المجمع (1965) ص 255 5. عمر (1973) ص 298 6. عمر (1976) ص 369 7. شاني (1977) ص 129 8. القرمادي (1966) ص 214 9. شاهين (1980) ص 34 10. عنبر (1980) ص 334 11. السعران (1962) ص 403 12. الفكر العربي (1979) ص 280

كما هو ملاحظ المعادل العربي لمصطلح phonology غير موحد، ونلاحظ أنّ المصطلح الإنجليزي واحد فقط ومقابله العربي يتكوّن من أكثر من كلمة، مثل علم الأصوات التنظيمي، وعلم الأصوات اللغوية الوظيفي، وصار مقبولا وشائعا استعمال تعريب المصطلح؛ الفونولوجيا.

3.2 مفهوم الصوتيات:

الأصوات هي اللبّات الأولى التي تتشكل منها المفردات في علم اللغة، والتعريف العام له هو (ظاهرة طبيعية مثل الضوء، وصورة من صور الطاقة مثل: الكهرباء على الانتقال من مصدره خلال وسط ما)⁹، وتكوّنه يرتبط بنشاط العقل، وكذا سلامة الجهاز النطقي، وهو أنواع (طبيعي، وآلي، وغريزي وفكري، والأخير هو اللغوي)¹⁰ وهذا هو مجال دارس الصوت وعلم الأصوات.

والصوتيات فرع من فروع علم اللغة العام وهو (علم يدرس أصوات الكلام)¹¹ وله أصول نظرية تؤسس له، والدرس الصوتي علم قائم على مجموعة من المصطلحات التي لها مفاهيم نظرية ترتكز عليها الدراسات التطبيقية، أكثرها شيوعا في اللغة الإنجليزية Phonetics و Phonology، فقد استعمل دي سوسير اللفظ

Phonetics للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، في حين حدد مجال Phonology، بالدراسة العلمية الميكانيكية للنطق¹²، وهناك من خالف هذا الفهم، مثل مدرسة براغ اللغوية، استعملت (مصطلح Phonology في عكس ما استعمله دي سوسير، إذ تريد به ذلك الفرع من علم اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية، أما Phonetics فقد أخرجه تروبتسكوي وجاكسون من علم اللغة.

ومن اللغويين من رفض الفصل بين مصطلحي Phonetics و Phonology، لأن أبحاث كل منهما تعتمد على الأخرى، ووَضَعَ الاثنان تحت مصطلح Phonetics أو تحت المصطلح Phonology ومن اللغويين من اعتبر المصطلحين مترادفين، وميّز الدراسة التاريخية من الدراسة الوصفية عن طريق إضافة كلمة: تاريخي أو وصفي¹³.

وشاع هذا الاختلاف عند اللغويين، بين من يرى أخذ المصطلح الأجنبي كما هو من غير ترجمة له، وبين من يحاول ترجمته بشكل دقيق حتى يدل على المعنى المقصود، فلو أخذنا مثلاً مصطلح Phonology الإنجليزي وأردنا تحديد ما يقابله في العربية نجد أنه يُنقل مرة كما هو في اللغة الإنجليزية، فيسمى الفونولوجيا، ويترجم مرة أخرى إلى تسميات عدة منها: التشكيل الصوتي، علم وظائف الأصوات، علماً لأصوات التنظيمي، علم الأصوات، دراسة اللفظ الوظيفي، علم النظم الصوتية، وترجمات أخرى مدرجة في الترجمات السابقة مثل: علم الأصوات التشكيلي، الذي هو تحويل للترجمة السابقة التشكيل الصوتي، وكذلك علم الأصوات الوظيفي، الذي هو تحويل للترجمة: علم وظائف الأصوات، وقد ترجمه مجمع اللغة العربية في القاهرة: النطقيات¹⁴.

والأمر كذلك بالنسبة لـ Phonetics حين دخل الدرس اللغوي الحديث (أبقاه بعض الدارسين دخيلاً، فقال فونيتيك دون تعريب، وغالباً ما كان يقرن كتابته بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية Phonetics أو Phonetique، مع شرح لمدلوله بالعربية، كما تُرجم إلى علم الصوت، منهج الأصوات، علم الأصوات العام، وعلم الأصوات، وعلم الأصوات اللغوية، والصوتيات، والصوتية)¹⁵.

ويشيع استعمال مصطلح الصوتيات في المقابل الإنجليزي Phonetics في معظم الدراسات الأكاديمية الجزائرية، نجد عبد الرحمان الحاج صالح يقول: (أدق ترجمة لمصطلح Phonetics هي الصوتيات، وهي كلمة من قسمين: صوت: للدلالة على المادة المدروسة و: ات: للدلالة على العلم، فيكون المعنى بذلك: علم الصوت، أو علم الأصوات، قياساً على كلمات كثيرة منها: لسانيات، رياضيات)¹⁶، وأصوات اللغة في جانبها المادي هي (العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات المنطوقة في لغة ما، وتحليلها وتصنيفها، بما في ذلك طريقة نطقها وانتقالها وإدراكها)¹⁷، فهو يتناول دراسة وتحليل الأصوات التي يؤلفها الإنسان طواعية واختياراً لغرض التبليغ في التواصل بأشكاله، والتأثير بإبداعه، وذلك بأن يحللها إلى أصغر أجزائها (الأصوات البسيطة أو الحروف) ويقوم بوصفها، ليصل بعد ذلك إلى تصنيفها وفق معايير معيّنة، ويدرس إضافة إلى ذلك عملية انتقالها للمتلقى.

والصوتيات قد تفرعت بدورها إلى أقسام عدة، وفق ما تقتضيه الدقة والتخصص، لكل منها مجاله وبحته، بحيث يخدم كل قسم الآخر ويتممه، بشكل يكفل الوصف الدقيق للأصوات اللغوية.

3.3. الدلالة الصوتية:

بحث العلاقات القائمة بين الأصوات ومدلولاتها، يتسع في أمات كتب اللغة، إذ التفت إليه الخليل، وسيبويه، وابن جني، وغيره من علماء اللغة؛ فنجد عندهم القاعدة التي تقول أن كل زيادة في المبنى هي بالضرورة زيادة في المعنى، ولعل أهم ما تميزت به هذه البحوث القديمة وضع القيود والضوابط التي تحكم العلاقة بين المبنى والمعنى من حيث الزيادة والنقص، فالعلاقات بين الدوال والمدلولات لتلك الدلالات توحى بها البنية الصوتية للكلمة من حيث كونها أصواتاً، لا من حيث كونها مواداً معجمية لها دلالتها الوضعية المحددة. ويمكن القول أن هناك تفاعل دائم بين السياق والتشكيل الصوتي، فالصوت يتهيأ ليتشكّل وفق السياق المناسب له، كما أن السياق يخضع على التشكيل الصوتي لإحوائه المناسبة له.

والباحث للقيم الصوتية المشكّلة إما من الداخل أو من الخارج، يُمكنه النظر إلى دلالات تلك الأصوات في سياقات بعينها؛ ليتوصل من خلالها إلى إحوائها الخاصة أو سماتها المميّزة... و ما يناسب دراستنا في التناسب الصوتي خاصة في القرآن الكريم هو ضمن إجراءات الدلالة الصوتية، نطلق من الصوت من الداخل، من خلال سياقاته؛ لتقف على الإحوائات والظلال التي تضفيها تلك الأصوات القرآنية على سياق بعينه¹⁸، مثل العلوّ والرفعة وإثبات وحدانيته تعالى

4 فنولوجيا التناسب الصوتي في سورة الأعلى:

1.4 . سورة الأعلى:

من السور المكيّة تتميّز بإيقاع خاص، وقصر الآيات؛ والذي له دور في تكوين الأثر الصوتي في ثنايا الكلمات والآيات، ويجعلها أيضاً محلاً لتوظيف عناصر صوتية متعددة¹⁹.

لكل سورة قرآنية خصوصية تمتاز بها، وسورة الأعلى أبرز صفة مرتبطة بها أنّها مصنّفة من السور الإحدى عشر، وهي على التوالي: سورة طه، سورة النجم، سورة الأعلى، سورة الليل، سورة الضحى، سورة العلق، سورة النازعات، سورة عبس، سورة القيامة، وسورة المعارج.

ونرى ما يرسم العلوّ ففي إنتهاء الآيات بالألفاظ (الأعلى التسوية والهدي اليسرى الكبرى أبقى الأولى) ما يناسب مقام الرفعة والعلوّ

الأرجح في أسماء السور توقيفية، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من صحابته الكرام أن يضعوا آية معيّنة في سورة معيّنة، فهذا توقيف وتوفيق، ومن معناه أيضاً آية تناسب مقاماً معيّناً يناسب سورة معيّنة وهكذا سرّ تسمية السور، وسورة الأعلى سورة مكيّة²⁰

فبين محور السورة وملح من ملامحها يتجلّى التناسب، فالتسبيح لله الأعلى، الخالق.

2.4 التناسب الصوتي:

التناسب لغة: مصدر تَنَاسَبَ، ويعني المناسبة²¹، التي يقصد بها مماثلة أو تشاكل شيء مع شيء، جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: النون، والسين، والباء، كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، والنسيب: الطريق المستقيم لاتّصال بعضه ببعض، وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس²² والتناسب في الاصطلاح يستعمل في علم تفسير القرآن الكريم لبيان الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره، ونجد له تعريفا عند القطان (وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة)²³ فهو رباط بين شيئين.

التوجهات اللسانية الحديثة بمبرادفاتھا التراثية من نحو وبلاغة...، علّقت على مبدأ التناسب وحددت له أنواعا؛ نلخصها في ما يلي:

- تناسب بين أجزاء الآية الواحدة، وهذا نجده لما نتأمل آيات القرآن، نظمها وحسن ترتيبها، وقوة سبكها، فنجد التناسب اللفظي والتناسب المعنوي، فما من لفظ في موضع معيّن إلّا وهو متناسب لفظا ومعنى مع غيره، فلا يمكن تحويله أو تبديله، وإلاّ اختل النظام. مثلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾²⁴ توافقت الألفاظ مع حال يعقوب عليه السلام، حتّى أشفق عليه أبنائه وهم من أوصلوه لهذه الحالة، فأقسم الله تاء القسم بدلا من الواو أو الباء.
- التناسب بين الآيات في السورة، وهنا ربط بين السابق واللاحق، وترتبط الآيات ببعضها البعض ارتباطا له مناسبة معيّنة، وهذا الإرتباط يكون إمّا ظاهرا أو خفيا، ففي سورة الأعلى تتراتب الآيات لتحديث ذلك التناسب الصوتي من خلال فواصلها وسنأتي إلى هذا، وأيضا تتناسب آيات الرفعة من بداية السورة، قال الله تعالى

في دراسة معنونة بـ " من مظاهر التناسب الصوتي في تراكيب القرآن الكريم "دراسة في سورة الفاتحة" للباحث ...
بيّن شدة التناسب في تراكيب سورة الفاتحة

3.4 الإمالة مظهر مظاهر التناسب الصوتي:

الإمالة مصدر أمال يميل، وهي العدول على شيء والإقبال عليه²⁵ يذكر ابن فارس أنّ "الميم والياء واللام" كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه مال، يميل ميلا، والميلاء من الرمل، عقدة ضخمة تعتزل وقيل ناحية، والميلاء: الشجرة الكثيرة الفروع²⁶

والإمالة في الاصطلاح هي عدول بالألف عن استوائه، وجنوحه إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وهي ضرب من ضروب التأثير الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور، أو تتقارب، وهي والفتح

صائتان، وقد يكونان طويلين أو قصيرين²⁷، وهنا على التوالي آيات سورة الأعلى منفصلة حتى يظهر ملمح الإمالة، وتتحدد صفة الصامت والصائت ونوع المقطع:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾

﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

4.4 . البنية المقطعية لسورة الأعلى:

لقد أعطت كثرة الحركات الطويلة في فواصل الآيات، المتمثلة بالمقطع الصوتي المتوسط المفتوح (ص ح ص)، إيقاعاً تراتبي تصاعديّ، ويتّضح أكثر أداء في إمالة الفواصل التي تستغرق ضعف زمن الصائت القصير. من خلال النظر في جدول أدناه لفواصل السور نستوضح أكثر

الجدول 1: فواصل آيات سورة الأعلى

نوع المقطع	الصائت	الصفة	الفونيم	
مفتوح	فتحة	جهر	اللام	الأعلى
مفتوح	فتحة	جهر	الواو	فسوى
مفتوح	فتحة	جهر	الدال	فَهْدَى
مفتوح	فتحة	جهر	العين	المرعى
مفتوح	فتحة	جهر	الواو	احوى
مفتوح	فتحة	همس	السين	تنسى
مفتوح	فتحة	همس	الفاء	يخفى
مفتوح	فتحة	جهر	الراء	لليسرى
مفتوح	فتحة	جهر	الراء	الذكرى
مفتوح	فتحة	جهر	القاف	الاشقى
مفتوح	فتحة	جهر	الراء	الكبرى
مفتوح	فتحة	جهر	الياء	لا يحي
مفتوح	فتحة	همس	الكاف	تزكى
مفتوح	فتحة	جهر	اللام	صلى
مفتوح	فتحة	جهر	الياء	الدنيا
مفتوح	فتحة	جهر	القاف	أبقى
مفتوح	فتحة	جهر	اللام	الأولى
مفتوح	فتحة	همس	السين	موسى

نلاحظ أنّ كامل فواصل الصورة مفتوحة، فهي تمتد لتكمّل بعضها صوتياً ، رؤوس الآبي هذه تصنّف أداء أنّها أصوات ممالّة، إمالة الفتحة نحو الكسرة.

إن إمعان النظر في فاصلة السورة، أو نوع أصواتها وعددها، أو مقاطعها الصوتية، فضلاً عن تركيبها، نجدتها على نفس النسق، وتوحيد الفاصلة هنا يتناسب وتوحيد الله سبحانه وتعالى، ابتدأت السورة بـ (سَبَّحَ) فعل أمر، سَبَّحَ المهموس وسط مجهولين صوتياً، وهذا له دلالة أيضاً، اقترب من عظمي.

كما نجد مظاهر تناسب أخرى بين آبي هذه السورة، بين الآية الثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ والذي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿²⁸ في لفظ قَدَّرَ إذا قرأت بدون تشديد تصبح على نفس الميزان الصرفي والصوتي للفظ خَلَقَ؛ إذ قرأ الكسائي: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ بتخفيف الدال، وشددها الباقون²⁹، وهذا علم أصيل مرتبط بالقراءات فيه من الدراسات الكثير، لا يسعنا مقامه.

بعيدا عن أنّ الاختيار الصوتي في القرآن الكريم قول بالصرفة؛ شاء الله أن لا يتصرف فيه غيره، نجد في سورة الأعلى أنّ الاختيار دلّ على:

- محاكاة الحدث الأسمى؛ وهو إثبات ألوهيته وتعالیه سبحانه وتعالى: مثل: (خلق فسوّى - قَدَّرَ فهدي)...
- فالأعلى اسم من أسماء الله الحسنى ارتبط بالتسوية والهدي واليسر والبقاء.
- اختيار الأصوات التي يكون بينها وبين الحدث نوع مُناسبة وملاءمة؛ مثل: (اسم الأعلى - تسوية الخلق - الإقراء وعدم النسيان - الذكرى النافعة - الفلاح والتزكية)

5. خاتمة:

- في دراستنا هذه التي تطرقنا فيها لسورة الأعلى إجرائياً توصلنا إلى مجموعة نتائج أهمّها:
- جوهر التناسب الصوتي، هو التناسق بين المخارج والصفات، وترتيبها المشكّل للدلالة، وكما وصفه تروبتسكوي بالتمفصل المزدوج - مونيم وفونيم -
- أنّ التناسب الصوتي مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، وسرّ الإعجاز كلّ في الصوت، وقعه، موقعه، وتوافقه.

- النظريات اللسانية الحديثة لما درست الخطاب القرآني، استغرقت في الجانب الصوتي وهذا لقداسة النص القرآني وعدم المساس بمعانيه لأنّه محاط بعلم يصونه من التأويل وهو التفسير، غير أنّ هذا الاستغراق النظري الإجرائي في مستواه القاعدي لم يبتعد عن ما قدّمه علماء التجويد؛ وهو علم قائد بذاته يخدم النص القرآني ويحرسه من اللحن.

- التأسيس دائماً على الثابت، والمفارقة في النظريات اللسانية رغم انفتاحها على الخطابات باختلاف أنساقها لا تستطيع أن تتأسس على النص القرآني باعتباره نموذجاً ثابتاً؛ وهذا أول وأهم مأخذ من مأخذ تطبيق النظريات الغربية على اللسان العربي.

- أي دراسة لسانية للنص القرآني هي مجرد مقارنة فقط لا تتجاوز الوصف. لأنّ هناك مباحث خاصّة به تضبطه وتحميه مثل علوم التفسير وأحكام التجويد، تحميه من تلك المغالطات التي وقع فيها الكثير.
- التحليل الفونولوجي من أهمّ مباحث تحليل الخطاب القرآني، وظيفة وشكلا وأسلوبا ودلالة؛ باعتباره فرعاً من فروع اللسانيات، فيسهم في إثراء المعنى وتعميقه، فالصّوت هو جوهر اللغة التي هي لبّ خطاب القرآن، فيتناول ضوابط تحليله وتأويله، وفنون أدائه وتلقيه.
- وصفوة هذه الورقة البحثية؛ يبقى القرآن الكريم الأنموذج الأمثل للكشف عن جماليات الصوت اللغوي.

6- الهوامش:

- ¹- ينظر، محمود فاخوري، نحو معجم جديد للمعاني، مجلة مجّمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، المجلد 78، الجزء 4، ص 939.
- ²- ينظر، عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، صفاقس، تونس، ط1، جانفي 2007، ص 14.
- ³-
- ⁴- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1992م، ص 35.
- ⁵- نادر سراج، مدخل إلى تبسيط المفاهيم اللسانية، ط1، دار الكتاب الجديد، 2007م، ص 115.
- ⁶- ينظر، ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايت، ط2، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص 229.
- ⁷- عبد العزيز أحمد علاّم، علم الصوتيات، مكتبة الرشيد، الرياض، 2009م، ص 47.
- ⁸- ينظر، محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة، دراسة تمهيدية نحو وضع معجم صوتي ثنائي اللغة، جامعة الإمارات العربية المتّحدة، 1983م، ص 105.
- ⁹- ينظر، كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، ص 29، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1992م.
- ¹⁰- ينظر، درار مكي، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 3.
- ¹¹- ينظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، سنة 1997م، ص 14.
- ¹²- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 65.
- ¹³- ينظر المرجع السابق، ص 66-67.

- ¹⁴ - ينظر، عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط1، سنة 2000، ص213-214.
- ¹⁵ - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص41.
- ¹⁶ - عبد الرحمان الحاج صالح، محاضرات بمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، 2004.
- ¹⁷ - عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ناشرون، ص103.
- ¹⁸ - بتصرف، سلمان علاء الشافعي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الماجستير (2015م - 2016م) - قسم الفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة، مصر، www.alukah.net
- ¹⁹ - ينظر، السيد عبد الحليم مصطفى عبد العال الشوربجي، التشكيل الصوتي في سورة "الأعلى" وإيجاءاته الدلالية، جامعة الأزهر، ص5.
- ²⁰ - ينظر، فتح القدير، الجامع بين فتي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007م/1428هـ، ص1610.
- ²¹ - ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص426.
- ²² - ينظر، المرجع نفسه، ج5، ص426 - 524.
- ²³ - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ج3، ص371.
- ²⁴ - سورة يوسف، الآية 85.
- ²⁵ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميل)، ج11، ص636.
- ²⁶ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ميل)، ج5، ص290.
- ²⁷ - ينظر، عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص134.
- ²⁸ - سورة الأعلى، الآية 1 - 2.
- ²⁹ - أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي الأندلسي، الكافي في القراءات السبع، تح: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، ج1، 1419هـ، ص554.

7. المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أحمد ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج5، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م.
3. أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي الأندلسي، الكافي في القراءات السبع، تح: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، ج1، 1419هـ.

4. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001.
5. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، سنة 1997م.
6. درار مكّي، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، وهران.
7. سلمان علاء الشافعي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الماجستير (2015 - 2016م) - قسم الفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة، مصر، www.alukah.net
8. السيد عبد الحليم مصطفى عبد العال الشوربجي، التشكيل الصوتي في سورة "الأعلى" وإيجاءاته الدلالية، جامعة الأزهر.
9. عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، صفاقس، تونس، ط1، جانفي 2007.
10. عبد الرحمان الحاج صالح، محاضرات بمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، 2004.
11. عبد العزيز أحمد علاّم، علم الصوتيات، مكتبة الرشيد، الرياض، 2009م.
12. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط1، سنة 2000م.
13. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، 1996م.
14. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1992م.
15. عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ناشرون.
16. فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007م / 1428هـ.
17. كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، ص29، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1992م.
18. محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة، دراسة تمهيدية نحو وضع معجم صوتي ثنائي اللغة، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1983م.
19. محمود فاخوري، نحو معجم جديد للمعاني، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، المجلد 78، الجزء 4.
20. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ج3، ص371.
21. ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايت، ط2، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.
22. نادر سراج، مدخل إلى تبسيط المفاهيم اللسانية، ط1، دار الكتاب الجديد، 2007م.